

**منهج الشيخ الشعراوي في عرض مسائل النبوات من
خلال تفسيره - ظاهرة الوحي أنموذجا -**

أ.م.د عوض جدوع أحمد

قسم العقيدة والفكر الإسلامي / كلية العلوم الإسلامية / جامعة ديالى

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة الوحي في باب النبوات، التي كانت ولا تزال محل تجاذب وخلاف واسع بين المفكرين والفلاسفة، ذلك أنه لا سبيل للعقل إلى معرفة عالم الغيب والإلمام بأسراره وخصائصه إلا بالوحي، ومعرفة حقيقة الوحي هي الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته، فهو ركن النبوة وطريق الرسالات إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام، وإن إثبات الوحي هو إثبات لنبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وإشهاد للبراهين على صحة الدين الإسلامي والهية مصدره، وممن تناول الموضوع بالدراسة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في تفسيره استجابة لحاجة المسلمين والشباب خاصة لمعرفة الوحي، ودلائله وآثاره، ليزداد إيمانهم، ويرسخ يقينهم بعقيدتهم ويدعم صمودهم في معارك الفكر الضارية.

وبحثنا هذا يسلط الضوء على مقارنة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله كأحد أبرز العلماء المعاصرين الذين تناولوا هذه الظاهرة بالبيان والتفصيل، في محاولة لفهمها، والإجابة عن التساؤلات المثارة بشأنها، من خلال تحديد مفهوم ومصدر الوحي، وتنوع أنواعه وصوره، وبيان كيفية الوحي وكيفية تلقيه، وإبراز العلاقة بين الوحي والعقل ببيان أهمية دور كل منهما.

الكلمات المفتاحية: النبوات، الوحي، الشعراوي.

Summery

This survey deals with revelation phenomenon in the prophecies section, which is still the subject of widespread tension and disagreement between thinkers and philosophers because mind has no way to know the unseen reality and to know its secrets and characteristics except through revelation, and to know that the truth of revelation is the basis upon which all the truths of religion are based with its beliefs and legislations, it is the cornerstone of prophethood and the path of messages to the hearts of prophets and proof of revelation is proof of the prophethood of the last of prophets, Muhammad, Allah prayers and peace be upon him, and testimony for proofs of the authenticity of the Islamic religion and his divine source, Al Sheikh Muhammad Metwally Alshaarawi is one of people who studied the subject in response to the needs of Muslims and young people in private to know the revelation, its evidence and its effects, to increase their faith, establishing their belief in their faith and support their steadfastness in the fierce battles of thought. Our research sheds light on the approach of Sheikh Muhammad Metwally Al-Shaarawi as one of the most prominent contemporary scholars who take this phenomenon in notification and detail, in an attempt to understand it, and answer questions raised about it, by defining concept and source of revelation, the diversity of its types and images, and stating how the revelation and how it was received, and highlighting the relationship between the revelation and the reason by stating the importance of each other's role

مقدمة

الاعتقاد بالوحي هو الأساس الذي يبنى عليه الاعتقاد بالنبوت، وهي الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها.

ونظراً لأهمية الوحي، وكونه الركن الأساس للنبوة والوسيلة بين الله تعالى وعباده، فقد تميز به كل نبي عن غيره من البشر، فهو جوهر النبوة وعنوانها الظاهر ومصدرها الأصيل الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته، فالله تعالى أوحى إلى جميع أنبيائه من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد عليه السلام، فقال جل شأنه ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163] فأنزل عليهم وحيه، وبين لهم أحكامه وتشريعاته وطريق الهداية إلى الصراط المستقيم، ليهتدي الناس في حياتهم الدنيا بهدي رب العالمين فينالوا سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا يشير إلى أهمية هذه الدراسة المتواضعة والتي هي بعنوان (منهج الشيخ الشعراوي في عرض مسائل النبوات من خلال تفسيره - ظاهرة الوحي أمودجا-) ذلك أنه لا سبيل للعقل إلى معرفة عالم الغيب والإمام بأسراره وخصائصه إلا بالوحي، ولذلك أدرك أهل النظر الصحيح والفكر المعتدل أن الإنسان بحاجة ماسة إلى الوحي الإلهي كمعين يستعان به في ادراك ما عجز عن ادراكه للوصول إلى المعرفة الصحيحة حول الكون وخالقه، والأنسان ووظيفته في عمارة الكون ومصيره في الآخرة.

وفي هذا البحث نضم جهدنا إلى جهد الباحثين في دراسة ظاهرة الوحي ومحاوله فهمها، والإجابة عن التساؤلات المطروحة بشأنها؛ حيث نسلط الضوء على جهود علماء المسلمين في الوقت المعاصر في هذا الباب، مركزين على ما تناوله الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله لظاهرة الوحي، باعتباره أحد أبرز العلماء المعاصرين الذين أولوا عناية بالغة بتفسير القرآن ودراسة معانيه، محاولين أن نستلخص نظرتهم المتكاملة لظاهرة الوحي من خلال كتاباته الغزيرة، التي تجمع بين الاستفادة من جهود المتقدمين والمتأخرين من أهل التفسير، مع إضافة جهد شخصي بما فتح الله علينا في فهم المعاني العميقة لكتاب الله تعالى.

تتضمن هذه الدراسة - بعد المقدمة - على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح الشرعي.

المبحث الثاني: أنواع الوحي وكيفية نزوله على النبي عليه السلام.

المبحث الثالث: العلاقة بين الوحي والعقل.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح الشرعي

أولاً: الوحي في اللغة: كلمة وحي مصدر وحيث، الإشارة والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك^(١)، والإعلام بسرعة وخفاء، والالهام الفطري للإنسان والالهام الغريزي للحيوان ووسوسة الشيطان ووحى الله تعالى إلى ملائكته.

وقال في المصباح: الوحي الإشارة والرّسالة والكتابة وكل ما ألقته إلى غيرك ليعلّمه وحي كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحي إليه يجي من باب وعد وأوحى إليه بالألف مثله وجمعه وحي والأصل فعول مثل فلولس وبعض العرب يقول وحيث إليه ووحيته له وأوحيت إليه وله ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقي إلى الأنبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف. الوحا السريعة يمد ويقتصر وموت وحي مثل سريع وزناً ومعنى فعيل بمعنى فاعل ودكاة وحية أي سريعة أيضاً ويقال وحيث الذبيحة أحيها من باب وعد أيضاً دبحتها دبحاً وحيًا ووحى الدواء الموت توحية عجله وأوحاه بالألف مثله واستوحيت فلاناً استصرخته^(٢).

وقال الشعراوي رحمه الله: الوحي في اللغة إعلام بخفاء من أي - سواء أكان من الله تعالى أم من الشياطين - ولأي ما - سواء للأرض أو للحيوان أو للإنسان - وفي أي - سواء في خير أو شر - . وكلمة «وحي» تصلح لأي معنى من هذه المعاني بحيث إذا أطلقت انصرفت إليه^(٣) .

وعليه فإن المعنى المستفاد من مادة الكلمة يشتمل على أمرين:

السرعة: قال الراغب: أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي^(٤).

الخفاء: قال الشعراوي رحمه الله: لأن الإعلام العادي هو أن يقول إنسان لإنسان خبراً ما، أو يقرأ الإنسان الخبر، أما الإعلام بخفاء فاسمه «وحي»^(٥).

وقد أجمل الإمام الشعراوي رحمه الله البحث في المعنى اللغوي في طرق ثلاثة:

وحي من الله تعالى، لكن الموحى إليه يختلف^(٦). ومن صورته:

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ (٣٧٩ / ١٥)

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت (٦٥١ / ٢)

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، مطابع أخبار اليوم (٥ / ٢٨٢٤)

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ (ص: ٨٥٨)

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (٣ / ١٤٦١)

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

وحي الله تعالى إلى الملائكة كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيَّ مَعَكُمْ فَتُنشِئُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]

وحي الله تعالى إلى الرسل والأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [النساء: ١٦٣].^(١) وذلك بتبليغ الملائكة للأنبياء عليهم السلام، ومنه تبليغ الآيات إلى الرسول ﷺ بواسطة الملك جبريل عليه السلام الموكل بالوحي. وهذان الصورتان من أسمى وأعظم أنواع الوحي ويليهما: وحي الله تعالى لغير الرسل من المصطفين من أتباع الرسل عليهم السلام، ويسمى بالإلهام الفطري للإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] أي: أخبرها بطريق خفي، هو طريق الإلهام.^(٢) وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

ويتعدى الإعلام بخفاء إلى الحشرات، ويعرف بالإلهام الغريزي للحيوان، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

بل يتعدى الوحي إلى الجماد كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَذَا يَوْمَئِذٍ تَكُنُّ أَعْيُنُهُمْ كَالْحِجَابِ وَإِنَّهُمْ غُرُورًا وَكَلِمَاتٍ لَمَشْرُكُونَ﴾ [الزلزلة: ١٥].^(٣) إنه إعلام بخفاء، لأن أحدا منا لم يسمع الله وهو يوحى للأرض.^(٤)

وهناك وحي من غير الله تعالى، كوحي الشياطين إلى أوليائهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].^(٥) لأن الشيطان لا يأتي الإنسان إلا بطريق خفي، ووسوسة في خواطره.^(٦)

وهناك وحي من البشر للبشر، كقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].^(٧) ومنه الإشارة السريعة على سبيل الرمز كإيحاء زكريا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: قال لهم بطريق الإشارة؛ لأنه لا يتكلم.^(٨)

ثانيا: الوحي في الاصطلاح الشرعي.

قال الأنباري: إنما سمي وحيا لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبي ﷺ الذي بعثه الله تعالى إليه^(٩). وقد تعدد تعريفاتهم له، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري أنه سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧ / ١٠٨٨١)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٥ / ٩٠٤٠)

(٣) ينظر: المصدر نفسه (١٥ / ٩٠٤١)

(٤) ينظر: المصدر نفسه (٣ / ١٤٦١)

(٥) ينظر: المصدر نفسه (٣ / ١٤٦٢-١٤٦١)

(٦) ينظر: المصدر نفسه (١٥ / ٩٠٤١)

(٧) ينظر: المصدر نفسه (٣ / ١٤٦٢)

(٨) ينظر: تفسير الشعراوي (١٥ / ٩٠٤١)

(٩) ينظر: جمع القرآن - دراسة تحليلية لمروياته، أكرم عبد خليفة الدليمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م (ص: ٢٢)

فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله تعالى ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابتته ولكنه يحدث به الناس حديثاً ويبين لهم أن الله تعالى أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه^(١).

إلا أن أجمعها كان تعريف الزرقاني الذي عرفه بقوله: أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر^(٢)

بينما نجد الوحي عند الإمام الشعراوي رحمه الله بمعناه الشرعي يقصد به: إعلام من الله وحده إلى نبي يدعي النبوة ومعه معجزة، إذن فالوحي: إعلام خفي من الله تعالى للرسول^(٣).

ثالثاً: الفرق بين الوحي في اللغة والوحي في الاصطلاح الشرعي.

يوضح الإمام الشعراوي رحمه الله الفرق بين الوحي اللغوي والوحي في الاصطلاح الشرعي أن الوحي إذا أُطلق، ينصرف إلى الوحي من الله إلى من اختاره لرسالة، وما عدا ذلك من أنواع الوحي يسمونه «وحياً لغوياً» إنما الوحي الاصطلاحى وحى من الله لرسول، إذن فوحى الله للأرض ليس وحياً اصطلاحياً، ووحى الله للنحل ليس وحياً اصطلاحياً، ووحى الله لأم موسى ليس وحياً اصطلاحياً، ووحى الله للحواريين ليس وحياً اصطلاحياً، إن الحق سبحانه يقول: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَد بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

إن هذا لون من الوحي غير اصطلاحى، بل هو وحى لغوي، أي أعلمهم بخفاء. لكن الوحي الحقيقي أن يُعلم الله من اختاره لرسالة، وهذا هو الوحي الذي جاء للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. يقول الحق: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، هكذا يجربنا الحق ان الرسول ﷺ تلقى هذا النبأ بالوحي، فلم يقرأه، ولم يشاهده، ونحن نعرف أن خصوم رسول الله ﷺ شهدوا انه لم يقرأ ولم يستمع من معلم^(٤).

ويؤكد ما ذهب إليه الإمام الشعراوي رحمه الله أن القرآن الكريم قد استخدم إطلاقات كلمة الوحي كما وردت في اللغة، وهذا وحى عام للناس وغيرهم^(٥)، كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسول، وهو إعلام خاص خفي من الله تعالى لرسله وأنبيائه، وهذا المعنى للوحي في الشرع أخص منه في اللغة من جهة مصدره وهو الله تعالى ومن جهة الموحى إليهم وهم الرسل عليهم السلام^(٦).

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م (١ / ١٦٠)

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣ (١ / ٦٣)

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٥ / ٩٠٤١)

(٤) ينظر: المصدر السابق (٣ / ١٤٦٢)

(٥) ينظر: النبوات، ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٥هـ. (ص٢٧٣، ٢٧٣)

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الباز، مكة المكرمة. (٥ / ١٦٣)

المبحث الثاني

أنواع الوحي وكيفية نزوله على النبي ﷺ

أولاً: أنواع الوحي

جمع أنواع الوحي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] فقد كان الوحي إلى الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنواع لا تخرج عنها، وهي: وحي خاص^(١)، يتناول الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، وهو:

الإلهام والنفخ في الروح: مثل الوحي إلى أم موسى عليها السلام^(٢)، قال الشعراوي رحمه الله: ولم يأت إلى أم موسى عليها السلام رسول يُوحى إليها. لكن الأمر قد استقر في ذهنها، وقد تعب العلماء كثيراً ليقربوا معنى الوحي لأذهاننا، فقالوا عنه: إنه عرفان يجده الإنسان في نفسه ولا يعرف مصدره، ومع هذا العرفان دليل أنه من الله. ولذلك لا يطلب العقل عليه دليلاً. والذي يصدق على هذا هو أننا سمعنا قول الحق: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]. وبالله عليكم، اجمعوا الدنيا كلها وقولوا لامرأة: إن خفت على ابنك فألقيه في البحر، هل تصدق الأم ذلك؟! لا يمكن، لكن أم موسى عليها السلام أخذت هذا الأمر كقضية مسلم بها، فساعة دخل الإيحاء من الله إلى قلبها، أو الإعلام بخفاء إلى وجدانها آمنت به، ومادام الإعلام من الله فلا شيطان يزاحمه، بل يدخل إلى النفس فتستقبله استقبال اليقين والإيمان بلا مناقشة. وألقت أم موسى عليها السلام بابنها بعد أن أرضعته. وأراد الله أن يطمئنئها. فأوضح لها: أنا أصدرت الأمر إلى البحر ليلقي الرضيع إلى الساحل. وأصدرت الأوامر ليلتقطه العدو فرعون. وأصدرت الأوامر أن يقوم بيت فرعون بتربيته^(٣).

ويقول الشعراوي رحمه الله: ومثال الوحي إلهاماً هو الحديث القدسي، وكذلك التشريع النبوي الذي تركه لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم-^(٤)، وقال أيضاً: إنما جاء بالنفخ في الروح الحديث القدسي^(٥)؛ لأن النفخ في الروح قد يتصور واحد أنه خاطر من الجن أو أمثال ذلك^(٦).

الرؤيا في المنام: كما أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام بذبح ولده اسماعيل عليه السلام، قال الشعراوي رحمه الله معلقاً: "إن الأنبياء عليهم السلام وحدهم هم الملتزمون شرعاً بتنفيذ رؤاهم؛ لأن الشيطان لا يُحايِلهم؛ فهم معصومون من مخايلة الشيطان. أما إن جاء إنسان

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (٢٨٤٥ / ٥)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (٤٣٤٠ / ٧)

(٣)(٣) ينظر: المصدر نفسه (٢٨٢٣ / ٥)

(٤) ينظر: المصدر نفسه (٢٨٤٧/٥ - ٢٨٤٨)

(٥) كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب» ينظر: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٧ / ١٠) من حديث جابر رضي الله عنه، والشهاب القضاعي في مسنده (١٨٥ / ٢) برقم (١١٥١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) ينظر: تفسير الشعراوي (٢٨٤٧/٥ - ٢٨٤٨)

وقال: لقد جاءني رؤيا تقول لي نَقَدَ كذا. نقول له: أنت غير مُلزم بتنفيذ ما تراه في منامك من رؤى؛ فليس عليك حكم شرعي يلزمك بذلك؛ فضلاً عن أن الشيطان يستطيع أن يُخايلك. أما تنفيذ إبراهيم عليه السلام لما رآه في المنام بأن عليه أن يذبح ابنه، وقيام إبراهيم عليه السلام بمحاولة تنفيذ ذلك؛ فسببه أنه يعلم بالتزامه الشرعي بتنفيذ الرؤيا^(١).

ومنه مبدأ وحي النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وقد أوحى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا ستة أشهر، وأوحى إليه في اليقظة ثلاثة وعشرين عاماً، فإذا نسبت الستة أشهر إلى الثلاثة والعشرين عاماً، تجد أن الستة أشهر تمثل جزءاً من ستة وأربعين جزءاً^(٢). واستدل الشعراوي رحمه الله على تسمية الرؤيا الصالحة لآحاد الناس وحيها، كما جاء في الحديث حين «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البشرى، قال: «إنها الرؤية الصالحة تُرى للمؤمن أو يراها»^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٤). ثم إنه فرق بين الرؤيا الصالحة والحلم وأضغاث الأحلام بقوله: والرؤيا ليست هي الحلم؛ لأن الرؤيا هي شيء لم يشغل عقلك نهاراً، وليس للشيطان فيه دخل. فإن كان ما يراه الإنسان في أثناء النوم له علاقة بأمر يشغله، فهذا هو الحلم، وليس للرؤيا، وإن كان ما يراه الإنسان في أثناء النوم شيئاً يخالف منهج الله، فهذه قذفة من الشيطان، أما الرؤيا الصالحة فهي البشرى، أو هي المقدمات التي تُشعر خَلْقَ الله بهم فتتجه قلوب الناس إلى هؤلاء الأولياء^(٥).

أو من وراء حجاب: وهو كلام من الله يسمعه الرسول، لكنه لا يرى المتكلم وهو الله^(٦) كما أسمع الله تعالى موسى عليه السلام كلامه من غير واسطة، وهذا التكليم يختص ببعض الرسل كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى بعد ذكر إحيائه إلى الأنبياء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وهنا في كلام موسى عليه السلام نقول إن الكلام وقع فيه من وراء حجاب وهنا نمسك عن الخوض فيما وراء ذلك لأنه غيب لم يكشف لنا عنه وترك الأمر فيه الله^(٧).

ويقول أيضاً رحمه الله: ومثال الوحي من وراء حجاب هو التكليف بالصلاة، فلم تفرض الصلاة بواسطة جبريل عليه السلام، بل فرضت من الله مباشرة. ولا أدخل في نقاش لا جدوى منه حول: أحين فرض الحق على رسوله الصلاة كلمه وسمع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الله وهو يتكلم معه. لا داعي للخوض في أمر لم يخبرنا الله عن كيفيته، والأدب مع الله تعالى يقتضي ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]^(٨).

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٢ / ٧٠٨٠)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٠ / ٦٠٣٨-٦٠٣٩)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب قوله ﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] برقم (٢٢٧٥) (٤ / ٥٣٥)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، برقم (٦٩٨٣) (٩ / ٣٠)

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠ / ٦٠٣٩)

(٦) ينظر: المصدر نفسه (٥ / ٢٨٤٥)

(٧) ينظر: تفسير الشعراوي (٧ / ٤٣٤١)

(٨) ينظر: المصدر نفسه (٥ / ٢٨٤٧-٢٨٤٨)

أو يرسل رسولا: هو جبريل عليه السلام. والقرآن لم ينزل إلا بطريقة واحدة، بواسطة نزول جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله ﷺ. فما نزل القرآن بالإلهام، وما نزل القرآن من وراء حجاب بل نزل بواسطة رسول من الله وهو جبريل عليه السلام وله علامات (١). ويؤكد ذلك بقوله: " إن القرآن لم يثبت بأية طريقة من طرق الوحي إلا بإرسال رسول، فكل وحي القرآن جاء بواسطة جبريل عليه السلام بمقدمات بدنية، ويحدث تغير كيميائي في نفس رسول الله ﷺ فلا يشك أبداً في أنه جبريل عليه السلام. وأراد الحق أن يكون الوحي بالقرآن بطريقة لا شك فيها.

وكان الرسول ﷺ يسمع صوتاً كصلصلة الجرس (٢)؛ وبعد ذلك يتفصد جبين الرسول ﷺ عرقاً (٣)، ويثقل جسم رسول الله ﷺ حتى إن كان على دابة فهي تمتط وتمن ويثقل عليها وتكاد أن يمس بطنها الأرض، وإن كان رسول الله ﷺ يلاصق فخذه فخذه أحد الصحابة عليه السلام، فيكاد أن يرض فخذه الصحابي عليه السلام. (٤)، وتلك علامات مادية كونية، لا يمكن أن يحدث فيها لبس (٥). وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبي، ليرتاض جسده على تحمل عبء النبوة.

كل هذه الظواهر تدل على أن وحي القرآن مستقل عن الإلهام أو النفث في الروح، لأن الإلهام والنفث في الروح لا يستدعي ظهور هذه الأعراض التي ذكرها الإمام الشعراوي رحمه الله من: الآلام، وتفصد العرق ونحوه.

ويضيف الشعراوي رحمه الله فيقول: كان من الممكن أن يكون الوحي من عند الله إلهاماً أو نفثاً في الروح؛ لذلك قال تعالى بعدها: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] إذن: الأمر ليس نفثاً في روح رسول الله بحكم ما، إنما يأتيه روح القدس وأمين الوحي يقول له: قال الله تعالى كذا وكذا. لذلك لم يثبت القرآن إلا بطريقة الوحي، بواسطة جبريل عليه السلام، فيأتيه الملك؛ ولذلك علامات يعرفها ويعرفها، ويتفصد جبينه منه عرقاً، ثم يُسرى عنه، وهذه كلها علامات حضور الملك ومباشرته لرسول الله ﷺ، هذا هو الوحي، أمّا مجرد الإلهام أو النفث في الروح فلا يثبت به وحي (٦).

إذن، فطريقة التقاء الحق بالأنبياء عليهم السلام؛ إما أن تكون بالوحي، وإما أن تكون من وراء حجاب، وإما أن تكون بإرسال رسول كجبريل عليه السلام. فإذا ما نظرنا إلى الآية وجدنا أن الوحي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: وحي خاص، وكلام من وراء حجاب، وإرسال رسول، وكل هذه الأقسام الثلاثة تدخل في إطار الوحي (٧).

(١) ينظر: المصدر نفسه (٧/ ٤٣٤٠)

(٢) جاء ذلك في حديث البخاري: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي برقم (٢) (٦/١)

(٣) جاء ذلك في حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي برقم (٢) (٧/١)

(٤) جاء ذلك في زاد المعاد يذكر حال نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم: «وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها. ولقد جاء الوحي مرة كذلك فخذه على فخذه زيد بن ثابت فتقلت عليه حتى كادت ترضها». ينظر: زاد المعاد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م (٧٨/١)

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (٥/ ٢٨٤٧-٢٨٤٨)

(٦) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٦٨٤-١٠٦٨٦)

(٧) ينظر: المصدر نفسه (٥/ ٢٨٤٥)

وقال في موطن آخر: ولا بُدَّ في هذه المسألة من التقارب بين الرسول المَلَك، والرسول البشر، فلكل منهما طبيعته الخاصة، ولكي يلتقيا لا بُدَّ من أمرين: إما أن يرتفع البشر إلى مرتبة الملائكية بحيث يستقبل منها، أو ينزل المَلَك إلى مرتبة البشرية بحيث يستطيع أن يُلقنها^(١).

وفي الحالتين صعوبة وشدة على الجبلية البشرية، لذلك كان يحدث في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف^(٢)، وقد وصف الشعراوي رحمه الله تلك الحالة بقوله: لذلك، كانت تحدث لرسول الله ﷺ تغييرات كيميائية في طبيعته، هذه التغييرات هي التي تجعله يتصبَّب عَرَقاً حتى يقول: «زملوني زملوني»^(٣) أو «دثروني دثروني»^(٤) لما حدث في تكوينه من تفاعل.

فكان الوحي شاقاً على رسول الله ﷺ خاصة في أوله، فأراد الحق سبحانه أن يُخَفِّفَ عن رسوله ﷺ هذه المشقة، وأن يُرِيحَهُ فترة من نزول الوحي ليريحهُ من ناحية ويُشَوِّقَهُ للوحي من ناحية أخرى، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١٣] والوزر هو الحِمْل الثقيل الذي كان يحمله رسول الله ﷺ في نزول الوحي عليه. فلما فتر الوحي عن رسول الله ﷺ شمت به الأعداء، وقالوا: إن ربَّ محمد قد قلاه^(٥). سبحان الله، أفي الجفوة تذكر أن لمحمد ﷺ رباً؟ أَلستم القائلين له: كذاب وساحر؟ والآن أصبح له رب لأنه قلاه؟ وما فهم الكفار أن فتور الوحي لحكمة عالية، أرادها ربُّ محمد ﷺ، هي أن يرتاح نفسياً من مشقة هذه التغييرات الكيميائية في تكوينه، وأن تتجدد طاقته، ويزداد شوقه للقاء جبريل عليه السلام من جديد، والشوق إلى الشيء يُهَوِّنُ الصعاب في سبيله. كما يسير المحب إلى حبيبه، لا تمنعه مشاق الطريق.

فردَّ الله على الكافر: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ١٥]. فنفى عن رسوله ما قاله الكفار، ثم عدَّلَ عبارتهم: إن ربَّ محمد قد قلاه فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣] فهذا التعبير القرآني يعطي لرسول الله ﷺ منزلته العالية ومكانته عند ربه عزَّ وجلَّ^(٦).

(١) ينظر: المصدر نفسه (١١٩١٣/١٩)

(٢) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦٠/١)

(٣) سبق تحريجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وربك فكبر﴾ [المدثر: ٣] برقم (٤٩٢٤) (١٦٦/٦)

(٥) أخرج مسلم في صحيحه عن الأسود بن قيس أنه سمع جندياً يقول: "أبطل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: قد ودع محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى (١) والليل إذا سجى (٢) ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١ - ٣] ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، برقم (١٧٩٧) (١٤٢١/٣)

(٦) ينظر: تفسير الشعراوي (١٥/٩٤١٣-٩٤١٤)

المبحث الثالث

العلاقة بين الوحي والعقل

أولاً: دور الوحي في العقل.

جاء القرآن الكريم فنهج في بيان الدين عامة والعقائد خاصة منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، فلم يقتصر على ذكر العقائد الإيمانية الغيبية. ولم يطلب من الناس التسليم بما لمجرد حكايتها وإنما أقام البرهان عليها، وحكى عقائد المخالفين وحمل عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوام وما فيها من الأحكام والإتقان على انظار العقول، وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما جاء به ودعا اليه^(١).

ومن هنا كان دور الوحي في التعرف على عالم الغيب مهما وضروريا؛ ليقود العقل إلى ما غاب عنه، ليقرب إليه ما بعد عنه وليكشف له عما وراء حجب المحسوسات، وليست حاجة العقل إلى الوحي هنا تعني الطعن في العقل أو التقليل من شأنه كما يحاول البعض أن يصور القضية، وكأنها صراع بين العقل والوحي. لا، إن القضية ليست طعنا في العقل ولا تهويينا من شأنه، إنما فقط توزيع وظائف، إنما أشبه بوضع كل أداة من أدوات المعرفة في مكانها المناسب لها ومحاولة الإفادة منها في مكانها وبوضعها الطبيعي المخلوقة من أجله^(٢).

وقد جاء الوحي ليحدد للعقل الطريق الصحيح في التفكير، فالعقل يجد ذاته محدود القدرات والطاقات خاضع لكثير من موانع التفكير السليم؛ يحتاج إلى من يحدد له السبيل القويم، ويضع له معايير التعامل مع ما حوله.

ونستطيع أن نجمل دور الوحي في العقل عند الشعراوي بما يأتي:

١. استنهض الفكر وإيقاظ العقل: فالوحي أكبر وأعظم موقظ للعقل في حياة الإنسان، والوحي منذ أول لحظة من نزوله وهو يستثير التفكير من خلال كلمة (اقرأ)، فأول الكلمات التي نطق بها الوحي لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. [العلق: ١] وهكذا كانت بداية نزول القرآن الكريم ليمارس مهمته في الكون^(٣). ثم إن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبية إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، يقول الشعراوي رحمه الله: أن تُفكر فيما أنت بصدده لتستنبت منه شيئا لست بصدده، وبذلك تُثري المعلومات؛ لأن المعلومات إذا لم تتلافح، إذا لم يحدث فيها توالد تقف وتتجمد، ويُصاب الإنسان بالجمود الطموحي، وإذا أصيب الإنسان بهذا الجمود توقّف الارتقاء؛ لأن الارتقاءات التي نراها في الكون هي نتيجة التفكير وإعمال العقل. لذلك فالحق سبحانه يُبهِننا حينما نمرُّ على ظاهرة من ظواهر الكون، ألا نمر عليها غافلين مُعرضين،

(١) ينظر: أصول الدين الاسلامي، د. رشدي عليان، د. قحطان الدوري، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد ط ٤، ١٩٩٠م (ص ٣٠)

(٢) ينظر: الوحي والإنسان، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، (ص: ٤٧)

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١/ ٤١)

بل نفكر فيها ونأخذها بعين الاعتبار. يقول تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]. ففي الآية حثٌّ على التفكير في ظواهر الكون، وفيها تحذير من الإعراض والغفلة عن آيات الله، فبالفكر نستنبط من الكون ما نستفيد به^(١).

ومن هنا تعددت المفردات التي عبر عنها القرآن الكريم بالعقل، فعبّر عنه بالهَيِّ والحِجَى واللُّبِّ والبصيرة، والقلب والفؤاد، وجاء بصيغه فعلية لأنه أراد لهذا العقل أن يؤدي وظائفه وعملياته المكلف بها: وقد أشار الإمام الشعراوي إلى ذلك بقوله: فهناك تفكر، وتذكر، وتدبر. فالتفكر هو شغل العقل ابتداءً بأمر ظاهر، يريد أن يستنبط منه شيئاً. وعندما يقول إنسان لآخر: فكر في هذا الأمر. أي أدر عقلك في كل ما يتعرض لهذا الأمر، وأما التذكر فهو أن يصل الإنسان إلى حكم انتهى إليه بالتفكر ثم نسيه، ويأتي من يلفت الذهن إلى ذلك الحكم الذي انتهى منه فكراً.

إذن فالفكر يأتي بحكم أولي ناضج، والتذكر يأتي بحكم كان معلوماً للإنسان ولكنه غفل عنه. أما التدبر فهو ألا يكتفي الإنسان بالنظر إلى واجهة الأمور ولكن إلى ما وراء ذلك أيضاً؛ لأن كل شيء له واجهة، وقد تخفى الواجهة ما خلفها، لذلك يطلب الحق من الإنسان أن ينظر إلى أعقاب الأشياء وأفائها، أي يدير الأمر على كل جهاته ولا يكتفي بالنظر إلى واجهاتها، وعندما يطلب الحق منا أن نتفكر والتذكر والتدبر إنما يوقظ فينا المقاييس الحقيقية التي نصل بها إلى المطلوب الذي يريده الله.^(٢) وأكد الإمام الشعراوي على ضرورة استتارة الفكر حتى يأخذ العقل القدر الكافي من النشاط ليستقبل العقل العقائد بما يريده الله، ويستقبل الأحكام بما يريده الله، فيريد منك في العقائد أن تؤمن، وفي الأحكام أن تفعل^(٣).

٢. تحديد ميدان النظر المعرفي للعقل: بعد استتارة العقل للتفكير وإيقاظه لا بد من توجيه لميدان النظر المعرفي للعقل، فالعالم عالمان: عالم الغيب وعالم الشهادة وإن كان البعض يحصر مصدر المعرفة عن عالم الغيب هو الوحي، ومصدر المعرفة عن عالم الشهادة هو العقل، فهذا الفصل غير دقيق، فهناك بعض التداخل ولا نستطيع الفصل التام بين العالمين، إذ كل منهما مكمل للآخر^(٤).

يقول الإمام الشعراوي رحمه الله: ونقول للعلماء: لفهم هذه المسألة حتى نوضح لكم أنكم تختلفون في أمر كان يجب عليكم ألا تختلفوا فيه. أبالعقل يعلم الإنسان مطلوب الله منه؟ أم أن العقل يهديني إلى وجود قوة أعلى خلقت هذا الكون وتدبره؟ وما اسم هذه القوة؟ وما مطلوب هذه القوة؟ أيعرف العقل ثواب من يتبع المنهج وعقاب من يخرج عن المنهج؟ كل هذه أمور لا يعرفها العقل، فالعقل حجة في الإيمان بقوة عليا فوق ذلك الكون وهي التي خلقت وتدبره وتديره، أما الرسول فهو مبلغ بمطلوبات المنهج واسم القوة التي أرسلت والشرائع التي يجب أن يسير على هداها الإنسان، إذن فليس هناك خلاف بين الرأيين^(٥).

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٣ / ٨٠٥٨)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (٦ / ٣٦٤٤)

(٣) ينظر: المصدر نفسه (٢ / ١٢٨٠)

(٤) ينظر: العلاقة بين العقل والوحي وانعكاساتها الفكرية والتربوية، د. أحلام مطالقة، د. عماد الشريفين، مجلة المنارة المجلد ٢٠/ العدد ٢٠١٤/٢ (ص ٢٥١)

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (٥ / ٢٨٤٩-٢٨٥٢)

ثم أكد الشعراوي رحمه الله على مهمة العقل ودوره، فقال: هذه هي مهمة العقل أي أنه يهتدي إلى القوة التي تخلق وتدبر أمر هذا الكون ولا يغني العقل عن الرسل، ولكن العقل يؤمن في القيمة الإيمانية بأن هناك قوة مبهمة عالية تناسب عظمة هذا الكون الذي طرأ عليه الإنسان، ولا يعرف اسم القوة ولا يعرف مطلوب القوة في «افعل»، و «لا تفعل»، ولا يعرف العقل ماذا ادخرت القوة من ثواب للمحسن وعقاب للمسيء. لذلك لا بد من وجود رسول. إن الحجّة - إذن - تكون من شقين: الشق الأول الخاص بالعقل هو في الإيمان بالقوة العليا المبهمة، والشق الثاني الخاص بالرسل هو الإيمان بالبلاغ عن الله اسماً وصفة ومطلوباً وجزاء، وهكذا نرى فاتفقوا أيها العلماء ولا ضرورة للخلاف^(١). وقال أيضاً: والذين يختلفون حول دور العقل في الحجّة ودور الرسول في الحجّة، عليهم ألا يتوهوا في متاهات نحن في غنى عنها؛ لأن العقل لا يمكن أن يكون الحجّة بمفرده، والرسول إنما هو مبلغ عن القوة^(٢).

وبين الشعراوي رحمه الله أن العقل ميدان نظره هو عالم الشهادة، أما عالم الغيب فلا مجال أن يصل إليه بقدراته وطاقاته المحدودة، وفي هذا تكريم الوحي للعقل واعتراف بقيمته لأنه لا يحمله ما لا يطيق، ولا يتركه يغرق في التيه الذي غرقت فيه الفلسفة من قبل من الجري وراء الأمور الغيبية، وقد نص على ذلك بقوله: وما دام العقل آلة من آلات الإدراك فله حدود، كما أن للعين حدوداً في الرؤية، وللأذن حدوداً في السمع، فللعقل حدود في التفكير أيضاً حتى لا يشطح بك، فعليك أن تضبط العقل في المجال الذي تجود فيه فقط، ولا تطلق له العنان في كلِّ القضايا. ومن هنا تعب الفلاسفة وأتعبوا الدنيا معهم؛ لأنهم خاضوا في قضايا فوق نطاق العقل، وأنا أتحدى أي مدرسة من مدارس الفلسفة من أول فلاسفة اليونان أن يكونوا متفهمين على قضية إلا قضية واحدة، وهي أن يبحثوا فيما وراء المادة، فمن الذي أخبرك أن وراء المادة شيئاً يجب أن يُبحث؟ لقد اهتديتم بفطرتكم الإيمانية إلى وجود خالق لهذا الكون، فليس الكون وليد صدفة كما يقول البعض، بل له خالق هو الغيبات التي تبحثون عنها، وتزحون بعقولكم خلفها، في حين كان من الواجب عليكم أن تقولوا: إن ما وراء المادة هو الذي يُبين لنا نفسه. فلو أن الفلاسفة وقفوا عند مرحلة التعلُّل في أن وراء المادة شيئاً، وتركوا لمن وراء المادة أن يُظهر لهم عن نفسه لأراحوا واستراحوا^(٣).

ومن أجلّ الغايات التي يريدتها الإسلام: من إيقاظ العقل، واستعمال وظيفة التأمل والنظر والتفكير في توجيه نظر الإنسان إلى كل ما في الكون من مظاهر الوجود ويرشده إلى السبيل المؤدي إلى الإيمان به تعالى في مثل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وفي القرآن أكثر من ثمانين آية من هذا النوع، ولكلها تنبه على مظاهر الخلق ومعاجز الحياة، وعلى نظام العالم وتضامنه أجزائه. وخصوصاً تضامن عالم الكواكب مع عالم الأرض، وتقلب الإنسان في أحوال الخلق، ثم تدعو إلى التفكير في ذلك كله باعتبارها دلالة يمكن الاهتداء بها إلى الله، والتصديق بأنبيائه^(٤).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤ / ٨٥٩٧-٨٥٩٨).

(٤) ينظر: أصول الدين الإسلامي د. رشدي عليان د. قحطان الدوري (ص ٣١).

ومن هنا كان لا بد للوحي من توجيه العقل وتحديد ميدانه نظره وفكره لتحقيق هذه الغاية الكبرى.

٣. تركية العقل وتوجيهه نحو الخير والصلاح: فلا يكتفي الوحي بإيقاظ العقل واستشارة تفكيره وتوجيهه نحو ميادين معينة حفاظاً على طاقاته، بل يتكامل هذا المنهج بتركية العقل باستعماله على وجهه الصحيح، والاستفادة منه في الوصول إلى الصواب والحق والخير والصلاح، وأن يلازم استعماله في التوصل إلى الحقائق والانتفاع منها، مع تطهيره من التفكير المنحرف والنتيجة المنحرفة الخاطئة، وذلك بإبعاد العقل عن الأهواء التي تبعده عن هذا المسار، وتركية العقل عن الهوى يعني ترشيد العقل إلى ما هو الحق والصواب والخير عوضاً عن أن يوظف في تدمير الإنسانية وشقائقها.

وقد دعا الشعراوي رحمه الله إلى تركية العقل من الأهواء بقوله: والبعض يظن أن العقل إنما جعل لترتع به في خواطرك، إنما هو جاء ليقيد هذه الخواطر، ويضبط السلوك، يقول لك: اعقل خواطرك وادرسها لا تنطلق فيها على هواك تفعل ما تحب، بل تفعل ما يصح وتقول ما ينبغي.

ويتجلى دور العقل المجرد وموافقته حتى للوحي في سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه، وفي وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ينزل عليه الوحي يأتي عمر رضي الله عنه ويشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر، فينزل الوحي موافقاً لرأي عمر رضي الله عنه ^(١)، وكأن الحق - تبارك وتعالى - يلفت أنظارنا إلى أن العقل الفطري إذا فُكّر في أمر بعيداً عن الهوى لا بُدَّ أن يصل إلى الصواب وأن يوافق حقائق الدين، أما إن تدخل الهوى ففسد الفكر ^(٢). وقال أيضاً في موطن آخر: فكأن الله لم يكلفنا شططا، إنما جاء تكليفه ليحمي العقول من أهواء النفس التي تطمس العقول، فآفة الرأي الهوى، ولولا وجود الأهواء لكانت الآراء كلها متفقة ^(٣).

كما دعا الإمام الشعراوي رحمه الله إلى تركية العقل من الشهوات عبر الوحي الذي يقوم بإشباع العقل بمجموعة من القيم السامية العليا ليمنعه من تحكم الشهوات، فيقول: فالعقل أراد الله سبحانه لنا ليحجزنا عن الانطلاق والفوضى في تحقيق شهوات النفس؛ لأنه سبحانه قد خلق النفس البشرية، ويعلم أنها تحب الشهوات العاجلة، فأراد سبحانه للإنسان أن يكبح جماح تلك الشهوات بالعقل. فحين يفكر الإنسان في تحقيق الشهوة العاجلة، يجد عقله وهو يهمس له: إنك ستستمتع بالشهوة العاجلة دقائق، وأنت قد تأخذها من غيرك؛ من محارمه أو من ماله، فهل تسمح لغيرك أن يأخذ شهوته العاجلة منك؟ إذن: عليك أن تعلم أن العقل إنما أراد الله سبحانه لك ليعقلك عن الحركة التي فيها هوى، وتحقق بها شهوة ليست لك، ومغبتها متعبة وهكذا نجد العقل هو الذي يوضح للإنسان نتائج كل فعل، وهو الذي يدفع إلى التأنى والإجادة في العمل؛ ليكون ناتج العمل مفيداً لك ولغيرك باستمرار، ولم يأت العقل للإنسان ليستمرىء به الخطأ والخطايا. وهكذا نجد أن العقل يدرك ويختار السلوك الملائم لكل

(١) أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، " وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لمن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحریم: ٥]، فنزلت هذه الآية. ينظر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب ما جاء في القبلة برقم (٤٠٣) (٨٩ / ١)

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٨ / ١١٤٠٢ - ١١٤٠٣)

(٣) ينظر: المصدر نفسه (٢ / ٨٨٦ - ٨٨٧)

موقف، بل إن العقل يدعو الإنسان إلى الإيمان حتى في مرحلة ما قبل التكليف، فحين يتأمل الإنسان بعقله هذا الكون لا بُدَّ أن يقوده التأمل إلى الاعتراف بجميل صنيع الخالق سبحانه وتعالى^(١).

٤. حماية العقل: بما أن الإسلام جعل العقل من الضرورات الخمس، فإنه قد شرع له أحكاماً تكفل إيجاده وتكوينه، وحفظه وصيانته؛ فجاء بتشريعات حمايته كتحريم الخمر وكل مسكر ومفتر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

يقول الشعراوي رحمه الله: والخمر كما نعرف مأخوذة من الستر.. وإذا كانت الخمر مأخوذة من الستر، فماذا تستر؟ إنها تستر العقل بدليل أن من يتعاطاها يغيب عن وعيه. ولا يريد الله سبحانه وتعالى للإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل أن يأتي للشيء الذي كرمه به ويُسيّر به أمور الخلافة في الأرض ويستره ويغيبه، لأن من يفعل ذلك فكأنه رد على الله تعالى النعمة التي أكرمه بها، وهذا هو الحمق. ثم إن كل الذي يتعاطون الخمر يبررون فعلهم بأنهم يريدون أن ينسوا هموم الدنيا، ونسأل هؤلاء: وهل نسيان الهموم يمنع مصادرها؟ لا، ولذلك فالإسلام يطلب منك أن تعيش همومك لتواجهها بجماع عقلك، فإذا كانت هناك هموم ومشكلات فالإسلام لا يريد منك أن تنساها، لا، بل لابد أن توظف عقلك في مواجهتها، وما دام المطلوب منك أن تواجه المشكلات بعقلك فلا تأتي لمركز إدارة الأمور الحياتية وهو العقل، والذي يعينك على مواجهة المشكلات وتقهره بتغييبه عن العمل^(٢).

ثم يذكر الشعراوي رحمه الله الحكمة من تحريم الله تعالى للخمر بقوله: إذن فالحق سبحانه وتعالى أراد بتحريم الخمر أن يحفظ على الإنسان عقله؛ لأن العقل هو مناط التكليف للإنسان، وهو مناط الاختيار بين البدائل، فأراد الحق أن يصون للإنسان تلك النعمة. إن هدف الدين في المقام الأول سلامة الضرورات الخمس التي لا يستغني عنها الإنسان: سلامة النفس، وسلامة العرض، وسلامة المال، وسلامة العقل، وسلامة الدين. وكل التشريعات تدور حول سلامة هذه الضرورات الخمس، ولو نظرت إلى هذه الضرورات تجد أن الحفاظ عليها يبدأ من سلامة العقل، فسلامة العقل تجعله يفكر في دينه. وسلامة العقل تجعله يفكر في حركة الحياة. وسلامة العقل تجعله يجتاط لصيانة العرض. إذن فالعقل هو أساس العملية التكليفية التي تدور حولها هذه المسألة، والحق سبحانه وتعالى يريد ألا يخمر الإنسان عقله بأي شيء مُسكر. حتى لا يحدث عدوان على هذه الضرورات الخمس^(٣).

٥. تنمية العقل: الإسلام بتشريعاته وأحكامه وأخلاقه وقيمه ومبادئه يُعد تنمية ونهضة للعقل باتجاه اكتشاف السنن وتسخير الطبيعة وإعمار الحياة وبناء الحضارة، فبعد التذكرة والتزكية تأتي مرحلة التنمية العقول، ولا يمكن تنمية العقل بدون حمايته وتوجيهه نحو ميدان عمله^(٤).

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٢٣٢ - ٦٢٣٤)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (٢/ ٩٣٨)

(٣) ينظر: المصدر نفسه (٢/ ٩٤١)

(٤) ينظر: العلاقة بين العقل والوحي وانعكاساتها الفكرية والتربوية، د. أحلام مطالقة، د. عماد الشريفين، (ص ٢٥٣)

يقول الشعراوي رحمه الله: لذلك كثيراً ما مخاطبنا الحق سبحانه بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢] وينادينا بقوله: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَاب﴾ [الطلاق: ١٠] وهذا كله دليل على أهمية العقل، وحثُّ على استعماله في كل أمورنا، فإذا سمعتم شيئاً فمرّروه على عقولكم أولاً، فما معنى أن يطلب الله مِنَّا ذلك؟ ولماذا يُوقِّظُ فينا دائماً ملكة التفكير والتدبُّر في كل شيء؟ لا شكَّ أن الذي يُوقِّظُ فيك آلة الفكر والنقد التمييز، ويدعوك إلى النظر والتدبر واثق من حُسن بضاعته، كالتاجر الصدوق الذي يبيع الجيد من القماش مثلاً، فيعرض عليك بضاعة في ثقة، ويدعوك إلى فحصها، وقد يشعل النار ليريك جودتها وأصالتها. ولو أراد الحق سبحانه أن يأخذنا هكذا على جهل وعمى ودون تبصُّر ما دعانا إلى التفكُّر والتدبُّر.^(١)

وهذه التنمية التي كانت تحت توجيه الوحي هي التي مكنت سلف الأمة من ناصية الإبداع كما يرى ذلك الشعراوي رحمه الله، وفتحت أمام العقل المسلم أبواب التجريب والنظر والتنقيب في سنن الحياة والكائنات، وفتحت للإنسانية آفاقاً جديدة في مجال الحضارة. يقول الشعراوي رحمه الله موضحاً ذلك: أن حضارة المسلمين استمرت ألف سنة حين أخذوا بالأسباب، ولم ينسوا المسبب. بل حرصوا الأسباب بقيم المسبب في «افعل» و «لا تفعل»؛ فملكوا الدنيا ألف سنة. ولا توجد حضارة مكثت مثل هذه المدة، ولئن زالت الحضارة من أمم الإسلام سياسياً، فقد بقي دينهم في نفوسهم، ولا توجد حضارة عاشت مبادئها بعد زوال الحضارة إلا الإسلام. فقد بقي منارة هادية، رغم ضعف المسلمين سياسياً^(٢).

لا بل يتميز الإسلام بأنه الدين الذي لم يخلُ دون بحثٍ أي آية من آيات الله في الكون، ومن حنان الله أن يُوضِّحَ لحلقه أهمية البحث في أسرار الكون، فهو القائل: ﴿وَكَايِنَ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]. أي: عليك أيُّها المؤمن ألا تُعرض عن أي آية من آيات الله التي في الكون؛ بل على المؤمن أن يُعملَ عقله وفكره بالتأمل ليستفيد منها في اعتقاده وحياته. يقول الحق: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ^(٣).

ثانياً: دور العقل في فهم الوحي وتفسيره

إن التكامل بين العقل والوحي يستلزم أن يكون لكل منهما دور في الآخر وبما أن الإسلام جعل العقل من أسس التشريع، فما فرض على الناس مأخوذ من "عقل متبوع وشرع مسموع، فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع، والشرع مسموع فيما لا يمنع العقل"^(٤).

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤ / ٨٦٦٨)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (٩ / ٥٢٨٠)

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٣ / ٧٨٣٩-٧٨٤٠)

(٤) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردى، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م (ص: ٨٧)

ولكي ينطلق العقل باجتهاد على الوجه الصحيح، يجب أن ينطلق في ذلك متجردًا عن هواه، وينظر في النصوص متدبرًا لمعانيها، ومستخرجًا لأحكامها، مبتغيًا بذلك الوصول إلى الحق الذي أراده الشارع وضمنه في نصوص وحيه، "فإذا ما استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد" (١) كما يقول الشافعي رحمه الله.

"ولا يمكن أن يحدث تناقض أو تعارض بين العقل الصريح والمنقول الصحيح" (٢) لأن الشريعة قامت على المعقولات، فهي نسق من الأحكام المترابطة المتكاملة المستهدفة لجملة من المقاصد الكلية، يندرج تحتها جملة من الأحكام الفرعية والجزئية. وكذلك ليس في الوحي ما يناقض العقل، "لأن الوحي جعل العقل أساس التكليف، ولو كان في الوحي ما يناقض العقل لكان فيه تكليف بما لا يطاق" (٣)، ومن هنا يأتي دور العقل في الوحي، ومنها:

١. تصديق الوحي: إن الإيمان بالغيب من الصفات التي وصف الله بها عباده المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٣]، يقول الشعراوي رحمه الله: وقمة الغيب هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله والإيمان باليوم الآخر، كل هذه أمور غيبية، وحينما يخبرنا الله تبارك وتعالى عن ملائكته ونحن لا نراهم. نقول مادام الله قد أخبرنا بهم فنحن نؤمن بوجودهم. وإذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى عن اليوم الآخر. فمادام الله قد أخبرنا فنحن نؤمن باليوم الآخر. لأن الذي أخبرنا به هو الله جل جلاله.. آمنت به أنه اله. واستخدمت في هذا الإيمان الدليل العقلي الذي جعلني أؤمن بأن لهذا الكون إلهًا وخالقًا (٤)، ومن هنا كان دور العقل في إثبات وجود الله ووحدانيته: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. بل إن العقل يدعو الإنسان إلى الإيمان حتى في مرحلة ما قبل التكليف، فحين يتأمل الإنسان بعقله هذا الكون لا بُدَّ أن يقوده التأمل إلى الاعتراف بجميل صنيع الخالق سبحانه وتعالى (٥).

٢. فقه الشرائع: عرفه الإمام الشعراوي بأنه علم الاجتهاد الذي يستنبط الأحكام من الحكم المجمل الذي يُنزله الحق تبارك وتعالى في كتابه (٦). واجتهاد العقل في فهم نصوص الوحي واستخراج الأحكام منها، أو بالقياس عليها أو من مقاصدها - أمر لا بد منه لتطبيق الشريعة، وذلك لأن المكلف ملزم شرعًا بأن يكون كل فعل من أفعاله على وفق الشريعة، وأن يستند في كل واقعة تقع به أو نازلة تنزل به إلى ما تحكم به الشريعة من وجوب أو حرمة أو ندب أو كراهة أو إباحة. وكيف يمكن تحقق ذلك ونصوص الوحي متناهية ومنحصرة، بينما الحوادث والوقائع التي تنزل بالناس ويراد حكم الله فيها ليس لها حصر ولا نهاية؟

إنه لا سبيل لتحقيق ذلك إلا بأن يجتهد العقل في استنباط الأحكام، إما عن دلالة النصوص أو بالحمل عليها عبر طرق الاجتهاد المختلفة، وقد عبر الإمام الشعراوي رحمه الله عن هذه القاعدة بقوله: فالقرآن ذكر القواعد والأصول، وأعطاني حقَّ

(١) مدارج السالكين - لابن القيم - دار الحديث بالقاهرة - ط (١) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (ح ٢ ص ٣٣٥).

(٢) حول هذه الحقيقة أدار الإمام ابن تيمية كتابه "درء تعارض العقل والنقل" - تحقيق الدكتور رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - ط (١) ١٣٩٩هـ.

(٣) ينظر: بحوث فقهية من الهند، القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص ٢٦٣).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١/ ١٢٧).

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٢٣٢ - ٦٢٣٤).

(٦) ينظر: المصدر نفسه (١٦/ ٩٩٢٧).

الاجتهاد فيما يعين لي من الفروع، وما يستجدّ من قضايا، وإذا وُجد في القرآن حكم عام وجب أن يُؤخذ في طيّه ما يُؤخذ منه من أحكام صدرت عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله وكله. فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وكذلك الإجماع من الأمة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء: ١١٥]. وكل اجتهاد يُردُّ إلى أهل الاجتهاد: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. (١)

لذلك كان لابد من اجتهاد العقل في فهم النصوص الشرعية واستخراج الأحكام منها بما تقضي به دلالتها الظاهرة، أو بالقياس عليها، أو ما ترمي إليه مجموع النصوص من مقاصد عامة أو مبادئ كلية، ولو لم يكن الاجتهاد لكان الأمر كما يقول الشعراوي رحمه الله: ومن رحمة الله بنا أن جعل الأصول واحدة لا خلافَ عليها، أما الفروع والأمور الاجتهادية التي تتأتى بالفهم من المجتهد فقد تركها الله لأصحاب الفهم، وإلا لو أراد الحق سبحانه لَمَا جعل لنا اجتهاداً في شيء، ولجاءت كل مسائل الدين قهرية، لا رأي فيها لأحد ولا اجتهاد، أما الحق - سبحانه وتعالى - فقد شاءت حكمته أن يجمعنا جمعاً قهرياً على الأمور التي إن لم نجمع عليها تفسد، أما الأمور التي تصلح على أي وجه فتركها لاجتهاد خَلَقَهُ (٢).

ومن هنا كان للعقل دوره في الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، والنظر في علل النصوص وإنزالها على الواقع وفقه مقاصدها.

(١) ينظر: المصدر نفسه (١٣/ ٨١٥٠)

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٦/ ١٠٠٢٦)

الخاتمة

بعد عرضنا لأبرز محاور دراسة ظاهرة الوحي من وجهة نظر الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - نوجز أهم النتائج المستقاة من تصوره، وأهم الفوائد المستفادة من طرحه، فيما يأتي:

أن الإمام الشعراوي - رحمه الله - تناول في تفسيره مفهوم الوحي وأنواعه، وصورة المختلفة. وهذا فيه من الفوائد والنتائج العقدية ما يقطع الطريق على من يدعون النبوة، كما يعطي الثقة لتصديق دعوى النبي ﷺ لما يقدمه من معجزات وبراهين يعجز البشر عن مثلها.

بين الإمام الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره أن القيام بأمر النبوة الرسالة وظيفية ثقيلة تحتاج إلى من يقدر على حملها، ومصداق لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] فالوحي وظيفية ثقيلة شريفة يستحق من يتميز بها الطاعة والاحترام والإجلال والنصرة والمتابعة وهذا لا يقدره إلا من كمل إيمانه.

كشفت الإمام الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره أن كلمة الوحي في المعنى اللغوي مهدت لتقسيم الوحي إلى ثلاثة أقسام؛ الوحي من الله تعالى ولكن الموحى إليه يختلف، الوحي من غير الله كوحي الشياطين إلى أوليائهم، والوحي من البشر للبشر، كما ذكر العلاقة بين تلك الأقسام الثلاثة وبين كذلك الفرق بين الوحي اللغوي والاصطلاحي لتمييز الحق من الباطل، مزيداً في تنبيه المسلم على تلك الفروق الدقيقة بينها حتى لا تلبس الأمور على الناس، وتفتح أبواب الفتنة .

أكد الإمام الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره على أن الوحي أمر غيبي، وهو هبة ورحمة من الله تعالى، خارج عن مجال إرادة الرسول ﷺ وعلمه واجتهاده.

أشار الإمام الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره إن العلاقة بين الوحي والعقل هي علاقة تكامل لا تعارض، فوجود أحدهما لا ينفي الآخر أو يناقضه، بل إن الوحي يرفع من شأن العقل، ويضع عليه تبعة التكليف.

أوضح الإمام الشعراوي في تفسيره إن الوحي تتجلى آثاره في بناء العقل في دعوة العقل إلى النظر والتفكير والاجتهاد والاستنباط، وتحريره من العوائق والشوائب والتقليد بكل صورته وأشكاله، وتشجيعه على اكتشاف المجهول، وفقه السنن الإلهية، وتزويده بالمعارف والخبرات، وتوظيف الحواس والتجارب في تكوينه، بل جعل القرآن التفكير فريضة إسلامية لما يترتب عليها من المنافع والنتائج والآثار المهمة في النهوض والشهود والجودة الشاملة الحاصلة من تكامل الوحي والعقل رغم اختلاف المنزلة والمسافة والأفق.

كما وأوضح الإمام الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره إن نظرة الوحي إلى العقل تدفعه إلى تلبية حاجة موضوعية في النفس الإنسانية ألا وهي استخدام الحجاج الإقناعي، ليتحول من عقل ذا وظيفة واحدة - كالقيام بالواجبات - إلى عقل تترقى أعماله وتنوع من التفكير إلى الاستنباط، ومن القراءة إلى الاجتهاد، ومن الوعي بعالم الشهادة إلى التعاطي مع عالم الغيب والاستجابة

لنداء الوحي، ليعتبر الإنسان بدلائل الحق الناطقة ومشاهد الكون الصامتة على ما وراء هذا الكون من حكمة عظيمة ومقصد بليغ هو إعمار هذا الكون وتحقيق العبودية لله.

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
٢. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ): دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م
٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ): المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ
٤. أصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد ط٤، ١٩٩٠ م
٥. تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم.
٦. جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) (أصل الكتاب رسالة علمية، بكلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، أشرف عليها الدكتور عمر محمود حسين السامرائي): أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ): السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م
٨. زاد المعاد في هدي خير العباد،: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م
٩. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
١٠. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١١. العلاقة بين العقل والوحي وانعكاساتها الفكرية والتربوية، د. أحلام مطالقة، د. عماد الشريفين، مجلة المنارة المجلد ٢٠ / العدد ٢ / ٢٠١٤ م
١٢. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
١٣. مدارج السالكين - لابن القيم - دار الحديث بالقاهرة - ط (١) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م

١٤. مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦
١٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية - بيروت
١٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
١٧. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة
١٨. النبوات، للإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
١٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الباز، مكة المكرمة.
٢٠. الوحي والإنسان - قراءة معرفية: محمد السيد الجليلند، دار قباء للطباعة والتشريع والتوزيع (القاهرة)